شرح قصيدة وتينة غضة الأفنان باسقة

تعدُّ هذه القَصيدَة من أشهر قصائد الشاعر إيليا أبو ماضي، وقد أدرجت في العديد من المناهج الدراسية، والتي يقول في مطلعها: وَتينَةٍ غَضَّةِ الأَفنانِ باسِقَةٍ قالَت لِأَترابِها وَالصَيفُ يَحتَضِرُ، وقد كتبها الشاعر في إشارة إلى الجود والكرم والسخاء الذي يجب أن يكون عليه الإنسان وأن يبتعد عن البخل والحرص، وقد نظمَ القصيدة على البحر البسيط وقافية الراء المضمومة، ويبلغ عدد أبيات القصيدة 11 بيتًا، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شَرح القَصيدة:

وَتينَةٍ غَضَّةِ الأَفنانِ باسِقَةٍ
قالَت لِأَترابِها وَالصَيفُ يَحتَضِرُ
بِئسَ القَضاءُ الَّذي في الأَرضِ أَوجَدَني
عِندي الجَمالُ وَغَيري عِندَهُ النَظَرُ

يتحدث الشاعر إيليا أبو ماضي عن قصة شجرة تين كانت كبيرة جدًّا وكثيرة الأغصان ذات الأوراق الكثيرة والكثيفة، وقد كانت مرتفعة جدًّا، كما أنَّ أغصانها كانت فتية وغضة فليست يابسة ولا جافة، وقد أصابها الضجر والملل واليأس من حالتها، فقالت لصديقاتها الأشجار وزملاتها وقد أوشك فصل الصيف على الانتهاء في ذلك الوقت: أيتها الزميلات الصديقات، لقد سئمت من حالتي هذه، وما أتعس هذا الحظ الذي أوجدني شجرة هنا في هذه الأرض، حيث أنثّي شجرة جميلة جدًّا خضراء، وكثيرون يرغبون بالنظر إليَّ والاستمتاع بمنظري الجميل، ولكن هم من لديهم النظر ولست أنا، فكيف يكون ذلك شيئًا حسنًا بالنسبة إليَّ.

لَأَحبِسَنَّ عَلى نَفسي عَوارِفَها
فَلا يَبينُ لَها في غَيرِها أَثَرُ
كَم ذا أُكَلِّفُ نَفسي فَوقَ طاقَتِها
وَلَيسَ لي بَل لِغَيري الفَيءِ وَالثَمَرُ

ولذلك قررت أن أمنع كل الخير الذي يحصل عليه الآخرون منّي، وأحبسه كله في نفسي فلا يظهر له ثر أبدًا حتى لا يستفيد منه أحد، حيث أنَّني دائمًا أتحمل فوق طاقتي في ذلك، ولا ينتابني من ذلك شيء إلا التعب والهرم والعجز، بينما يستمتع غيري بالظل الذي أوفره لهم، وبالثمار اللذيذة التي أنتجها.

لِذي الجَناحِ وَذي الأَظفارِ بي وَطَرٌ
وَلَيسَ في العَيشِ لي فيما أَرى وَطَرُ
إِنّي مُفَصَّلَةٌ ظِلّي عَلى جَسَدي
فَلا يَكونُ بِهِ طولٌ وَلا قِصَرُ

إنَّ جميع الكائنات بحاجة إليَّ، حيث أنَّ الطيور بحاجة إليَّ دائمًا من أجل أن تقيم أعشاشها بين أغصاني أو تتناول من ثماري، والإنسان له حاجة بي إذ يستمتع بالظل الذي أوفره له والغطاء الأخضر الجميل الذي أبسط به الأرض والثمار التي يأكل منها، ولكنني لست بحاجة شيء منهم في معيشتي، ولذلك سوف أجعل ظلي على مقدار حاجتي فقط ولن تنمو أوراقي وأغصاني كما كانت في السابق حتى لا يكون لي ظل كبير يجلس تحته الناس.

وَلَستُ مُثمِرَةً إِلّا عَلى ثِقَةٍ
إِن لَيسَ يَطرُقُني طَيرٌ وَلا بَشَرُ
عادَ الرَبيعُ إِلى الدُنيا بِمَوكِبِهِ
فَأَزَّيَنَت وَاِكتَسَت بِالسُندُسِ وَالشَجَرُ

ولن أسمح لثماري أن تنمو كما كانت تنمو في السابق، إلا إذا تأكدتُ وكنت على ثقة بأنَّه لن يستطيع أن يأكل ثماري الطيور أو الإنسان، عند ذلك يمكنني أن أثمر، وهكذا اتخذت التينة قرارها، وعندما أطل الربيع مرةً أخرى يحمل بشائره للأرض في كل مكان، تزينت الأشجار بثيابها الخضراء المبهرة وتحولت الأرض إلى بساط أخضر بديع، والتينة رفض أن تنمو وتثمر.

وَظَلَّتِ التينَةُ الحَمقاءُ عارِيَةً
كَأَنَّها وَتَدٌ في الأَرضِ أَو حَجَرُ
وَلَم يُطِق صاحِبُ البُستانِ رُؤيَتَها
فَاجتَثَّها فَهَوَت في النارِ تَستَعِرُ
مَن لَيسَ يَسخو بِما تَسخو الحَياةُ بِهِ
فَإِنَّهُ أَحمَقٌ بِالحِرصِ يَنتَحِرُ

وقد بقيت التينة الحمقاء بسبب فعلها ذاك عارية من الأوراق والثمار وكأنها عمود خشبي أو وتد دُقَّ في الأرض، أو مثل حجر متطاول لا فائدة منه، وعند ذلك عرف صاحب البستان أنَّ هذه الشجرة لم يعد هنالك نفع من بقائها في أرض البستان، فأقبل إليها وقطعها، ثمَّ أصبحت بعد ذلك حطبًا للمواقد تشتعل بها النيران، وهذا دليل على أنَّ العطاء يزيد في الرزق ويبارك فيه، ومن يمتنع عن البذل والإنفاق مما أعطاه الله تعالى فإنَّ من دون شكٍّ أحمق يقتل نفسه بذلك البخل والحرص الذي لا جدوى منه.

الصور الفنية في قصيدة وتينة غضة الأفنان باسقة

تحتوي قصيدة الشاعر إيليا أبو ماضي على العديد من الصور الفنية والبلاغية وتعمل هذه الصور على إشاعة الموسيقى في النص إضافة إلى ألوان بديع متميزة لتزيين العبارة الشعرية، حيث يحرص الشاعر من خلال هذه الأساليب على توصيل المعنى إلى القراء وتقريبها إليهم بطرق فنية لافتة ومختلفة وغير مباشرة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية فيها:

- **أسلوب الكناية**: ورد أسلوب الكناية أكثر من مرة في القصيدة كما في قول الشاعر: قالَت لِأترابِها وَالصَيفُ يَحتَضِرُ، فقد كنَّى الشاعر في هذه الجملة باحتضار الصيف أنَّ الصيف كان في آخره وقد أوشك على الانتهاء بأسلوب مميز وجميل.
- **أسلوب الطباق**: ورد أسلوب الطباق أيضًا في القصيدة بقول الشاعر: إِنّي مُفَصِلَةٌ ظِلّي عَلى جَسَدي فَلا يَكونُ بِهِ طول وَلا قِصَرُ، ورد أسلوب الطباق في قول الشاعر طول وقصر، حيث أنهما كلمتان متعاكستان في المعنى.
- **تشبيه تام**: ورد التشبيه التام في القصيدة في قول الشاعر: وَظَلَّتِ التينَةُ الحَمقاءُ عاريَةً كَأَنَّها وَتَدٌ في الأَرضِ أَو حَجَرُ، فقد شبه الشاعر التينة بالوتد في حال عريها، فجاءت التينة مشبهًا، وكلمة وتد أو حجر المشبه به، وكلمة كأن هي أداة التشبيه، ووجه الشبه هو عارية أي في حال عريها.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة وتينة غضة الأفنان باسقة

توجد الكثير من الكلمات التي يمكن أن تكون صعبة الفهم بالنسبة للكثير من الأشخاص والقراء في قصائد الشعراء خصوصًا في القصائد القديمة والكلاسيكية منها، وقد تكون بعضها من الكلمات التي لا يجري استخدامها في الحياة العامَّة بين الناس ولذلك يجب أن يتمَّ البحث عنها في معاجم اللغة العربية المختلفة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح المفردات الصعبة في القصيدة آنفة الذكر:

المفردة	شرح المفردة
غضة	طرية ناعمة وخضراء
الأفنان	الأغصان والفروع
باسقة	عالية وشديدة الارتفاع
أترابها	مثيلاتها وزميلاتها
عوارفها	محاسنها وميزاتها
الفيء	الظل
وطر	حاجة
اجتثها	قطعها
تستعر	يشتد احتراقها واشتعالها
ذي الجناح	الطيور
ذي الظفر	الحيوانات والإنسان
السندس	إشارة إلى اللون الأخضر